أولا: الفصاحة

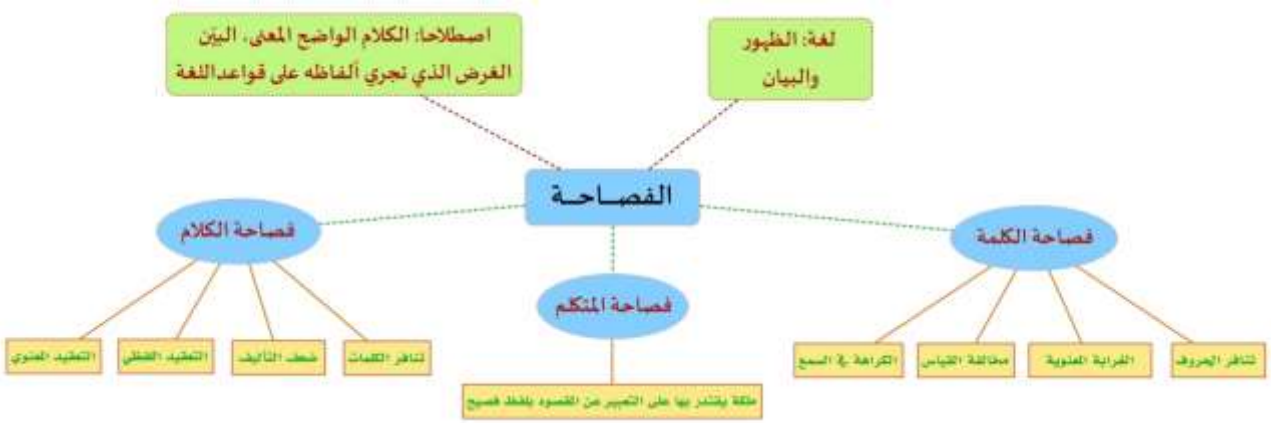

1. **الفصاحة لغة:** جاء في اللسان (فصح)، «الفصاحة: البيان؛ فصح الرجل فصاحة فهو فصيح من قوم فصحاء وفصاح وفصح ... تقول: رجل فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طلق ... وأفصح عن الشيء إفصاحا إذا بيّنه وكشفه.

2. **الفصاحة اصطلاحا:** الفصاحة هي الكلام الواضح المعنى، البيّن الغرض الذي تجري ألفاظه على قواعد اللغة، فتكون كل لفظة في الكلام بيّنة المعنى، مفهومة، عذبة، سلسة، متمشّية مع القواعد الصرفية»، تقع الفصاحة في الاصطلاح وصفا للكلمة والكلام والمتكلم، فهي تشمل:

1 - فصاحة الكلام. 2 - فصاحة الكلمة. 3 - فصاحة المتكلّم.

1. **فصاحة الكلمة:** ونعني بها المفردة أي اللفظ الواحد مجردا من سياقه الذي انتظم فيه، ولا تكون الكلمة فصيحة إلا إذا خلت من العيوب التالية:

أ. تنافر الحروف: أن تكون حروف الكلمة متآلفة غير متنافرة، والتآلف أن يسهل النطق بها مجتمعة، والتنافر أن يصعب النطق بها مجتمعة، فتكون الكلمة ثقيلة على اللسان، يصعب النطق بها، كما روي أن أعرابيا سئل عن ناقته، فقال: تركتها ترعى الهعخع[1]، ومنه ما هو دون ذلك، كلفظ مستشزر[2] في قول امرئ القيس (الطويل)[3]:

---

[1] أو الخعخع، وكلاهما اسم لشجر، أو لضرب من النبت، وقيل: هي كلمة موضوعة للمعاياة، أي لمجرد التلفظ بهذا الصوت ولا أصل لها في اللغة.

[2] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: أ.د. أحمد شتيوي، ص17-18

[3] ديوان امرئ القيس، شرح حسن السندوبي، ص 150.

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزَرَاتٌ إلى العُلَا * تَظَلُّ العِقَاصُ في مُثَنّى ومُرْسَلِ**[1]

فكلمة مستشزرات غير فصيحة عندهم لصعوبة النطق بها دفعة واحدة، فيضطر القارئ إلى تجزئتها وقراءتها مقطعيا، ولكن هذه الكلمة تبقى أخف من كلمة (الهعخع) التي عدّها البلاغيون ثقيلة أو هي غاية في الثقل.

ب. **الغرابة:** أن تكون الكلمة وحشية، لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفته إلى أن ينقب عنها في كتب اللغة، كما روي عن عيسى بن عمر النحوي، أنه سقط عن حمار، فاجتمع عليه الناس، فقال: «ما لكم تكأكأتم علي تكأكأكم على ذي جنة؟ افرنقعوا عني» أي اجتمعتم، تنحوا، أو يخرج للكلمة وجه بعيد للمراد منها.

ت. **مخالفة الوضع أو القياس اللغوي:** فهو كون الكلمة شاذَّة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب؛ بأن تكون على خلاف ما ثبت فيها عن العرف العربي الصحيح[2]، مثل (الأجلل) في قول أبي النجم:

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ الأَجْلَلِ * الوَاحِدِ الفَرْدِ القَدِيمِ الأَوَّلِ**

فإن القياس (الأجل) بالإدغام، ولا مسوّغ لفكّه وكقطع همزة وصل «اثنين» في قول جميل:

د. **الكراهة في السمع:** فهو كون الكلمة وحشية، تأنفها الطباع وتمجها الأسماع، وتنبو عنها، كما ينبو عن سماع الأصوات المنكرة، (كالجِرَشَّى بمعنى النفس) في قول أبي الطيب المتنبي يمدح سيف الدولة[3]:

مبارك الاسم أغرُّ اللقب * كريم الجرَشَّى شريف النَّسب**

ثم إن علامة كون الكلمة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيرا، أو أكثر من استعمالهم ما بمعناها[4].

2. **فصاحة الكلام:** أما فصاحة الكلام فهي خلوصه من العيوب التالية: ضعف التأليف، وتنافر الكلمات، والتعقيد بنوعيه، ووجه حصر فصاحة الكلام في البراءة من هذه العيوب الثلاثة هو أن كل كلام له "مادة" هي أجزاؤه أي: الكلمات التي تركب منها، وله "صورة" هي

---

[1] مستشزرات: مرتفعات أو مفتولات، تضل: تختفي، العقاص: الضفائر، المثنى: المفتول، المرسل: المتروك دون فتل.

[2] جواهر البلاغة في المعاني والبيان، أحمد بن إبراهيم الهاشمي، تدقيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص23

[3] جواهر البلاغة في المعاني والبيان، أحمد بن إبراهيم الهاشمي، ص25

[4] الإيضاح في علو م البلاغة، الخطيب القزويني، ص20

هيئة تأليفه من هذه الكلمات، وله دلالة على معناه. فعيبه إما في مادته وهو "التنافر"، أو في صورته وهو "ضعف التأليف" أو في دلالته على المعنى وهو "التعقيد"[1].

أ. تنافر الكلمات: هو أن تكون الكلمات مجتمعة ثقيلة على اللسان؛ يتعسر النطق بها، وإن كانت كل كلمة على حدة لا ثقل فيها، وهو أيضًا نوعان: تنافر شديد، وتنافر قريب منه[2]، فمن ذلك قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر**[3]

وأمّا دون ذلك كقول أبي تمام في قصيدة يعتذر بها لممدوحه، ويتبرأ مما نسب إليه زورا وبهتانا:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى * معي وإذا ما لمته لمته وحدي**[4]

والشاهد فيه قوله: "أمدحه أمدحه" فإن في اجتماع هاتين الكلمتين ثقلا في النطق بهما يشعر به صاحب الذوق السليم.

ب. ضعف التأليف: هو أن يكون الكلام في تركيبه مخالفا للمشهور من قوانين النحو التي اعتمدها جمهور النحاة كالإضمار قبل ذكر المرجع لفظا ومعنى وحكما[5]، أي سلامة الكلام من الخطأ النحوي والصرفي، كرجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظًا ممتنع عند الجمهور، لئلا يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر لفظًا ورتبة، فعند قولنا: ضرب أبوه زيدا. فالهاء في «أبوه» ضمير عائد على المفعول به «زيدا» وهذا ممتنع لأنه عاد على متأخر في اللفظ والرتبة، وكقول حسان بن ثابت يرثي مطعم بن عدي:

ولو أن مجدا أخلد الدّهر واحدا * من الناس أبقى مجده الدّهر مطعما**

أعاد الشاعر الضمير المتصل بالفاعل على متأخر لفظا ورتبة، الهاء في مجده عائدة على (مطعما) وهو متأخر في اللفظ والرتبة لأنه مفعول به. وهذا ممنوع عند جمهور البصريين، ولكن بعض الكوفيين، وابن جنّي أجازوا ذلك[6].

---

[1] المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث، ج3 ص32

[2] المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث، ج3 ص32

[3] مجهول القائل، ويدعي بعض الناسبين أنه لجني رثى به حرب بن أمية جد معاوية، بعد أن هتف به فمات.

[4] ذكر الصاحب بن عباد أنه أنشد هذه القصيدة بحضرة ابن العميد, فلما بلغ هذا البيت قال له ابن العميد: هل تعرف فيه شيئا من الهجنة؟ قال: نعم مقابلة المدح باللوم، وإنما يقابل بالذم والهجاء فقال ابن العميد: غير هذا أردت، فقال: لا أدري غير هذا، فقال ابن العميد: هذا التكرار في "أمدحه" مع الجمع بين الحاء والهاء خارج عن حد الاعتدال، نافر كل التنافرن فأثنى عليه الصاحب. نقلا عن المنهاج الواضح للبلاغة ج3 ص33

[5] المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج3 ص34

[6] علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، د. محمد أحمد قاسم، د. محي الدين ديب، ص32

ت. التعقيد:

وهو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع فيه[1]، وله سببان:

1. **التعقيد اللفظي:** أن يكون التعقيد راجعا لخلل واقع في نظمه وتركيبه، بحيث لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم، أو تأخير، أو فصل، أو حذف، أو نحو ذلك مما يترتب عليه صعوبة فهم المعنى المراد، كقول الفرزدق يمدح إبراهيم بن المخزومي خال هشام بن عبد الملك، أحد خلفاء بني أمية:

وَما مِثلُه فِي النَّاس إلَّا مُـمَلَّكًا * أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ**

ليس مثل الممدوح في الناس حي يقاربه في الفضائل إلا مملكا (يريد هشاما) أبو أم ذلك الملك أبو الممدوح أي: لا يحاكيه أحد إلا ابن أخته وهو "هشام". ففيه فاصل كبير بين البدل وهو "حي" والمبدل منه وهو "مثله" وفيه تقديم المستثنى وهو "مملكا" على المستثنى منه وهو "حي"، وفيه فصل بين المبتدأ والخبر وهما: "أبو أمه أبوه" بأجنبي هو "حي"، وبين الصفة والموصوف وهما: "حي يقاربه" بأجنبي هو "أبوه"[2]. فانظر إلى أي حد وصل تعقيد اللفظ حتى عمي المعنى، واستغلق على الفهم[3].

2. **التعقيد المعنوي:** بأن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد؛ فيكون انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم من اللفظ لغة إلى المعنى الثاني المقصود غير ظاهر[4]، بحيث

---

1 هذا تعريف للتعقيد بالمعنى الاصطلاحي الذي هو كون الكلام معقدا، لا بالمعنى اللغوي الذي هو مصدر عقَّدَ المتكلم كلامه تعقيدا، إذا أخفى المراد منه، فإنه بهذا المعنى لا يصح حمل التعريف المذكور عليه؛ لأن التعقيد بهذا المعنى وصف للمتكلم والتعريف المذكور من صفات الكلام، واحترز بقوله: لخلل واقع فيه عما خفي المراد منه لا لخلل فيه، بل لإرادة المتكلم إخفاء المراد منه لحكمة، كالذي ورد في القرآن من المتشابه والمجمل والمشكل، فلا تعقيد فيه. نقلا عن: المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج3 ص38

2 المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج3 ص39

3 قيل: ويمكن أن يخرج البيت على وجه لا تعقيد فيه, فيجعل "إلا مملكا" مستثنى من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور الواقع خبر "ما" أو خبر "مثله" على الخلاف في جعل "ما" حجازية أو تميمية، ويجعل "أبو أمه" مبتدأ و"حي" خبرا، ويجعل "أبوه" خبرا بعد خبر، والجملة صفة "لمملكا"، وكذلك جملة "يقاربه" أي: إلا مملكا موصوفا بهذه الصفة، وبأنه يقارب خاله في الفضائل. وعلى هذا القول يكون المراد بالحياة في قوله: "حي" الشبوبية والفتوة، وغاية ما يرد على هذا الوجه أن فيه نصب "مملكا"، والمختار رفعه لتأخر المستثنى على المستثنى منه بعد النفي.

4 المعنى الأول: هو المعنى الأصلي، والمعنى الثاني: هو المعنى المجازي أو الكنائي، ويسميه عبد القاهر (معنى المعنى) نقلا عن الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ص22.

يكون إدراك المعنى الثاني من الأول بعيدا عن الفهم، يحتاج إلى تكلف بسبب استعمال اللفظ في معنى خفي لزومه للمعنى الأول[1]، كقول العباس بن الأحنف:

سأطلُبُ بُعدَ الدَّارِ عنكُمْ لتَقرَبُوا * وتسكُبُ عَينايَ الدُّموعَ لِتَجمُدَا**

كنى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن، واصاب لأن من شأن البكاء أن يكون كناية عنه، ثم اطرد ذلك في نقيضه، فأراد أن يكني عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود، لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقا من غير اعتبار شيء آخر، وأخطأ، لأن الجمود خلو العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها، فلا يكون كناية عن المسرة وإنما يكون كناية عن البخل[2].

فصاحة المتكلم: «ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح»[3]، فالمدار في فصاحته على أن تكون هذه الصفة غريزة فيه يستطيع أن يستخدمها متى شاء، في أي فن من فنونه كالمدح، والذم، والرثاء، والفخر، والتشبيب...وتكوين هذه الملكة إنما يكون بممارسة أساليب العرب الفصحاء، والوقوف على أسرارها، وحفظ الكثير من عيون كلامهم شعرا ونثرا[4].

[1] شرط فصاحة الكلام أن يكون المعنى الثاني المراد قريبا فهمه من المعنى الأصلي كمعنى "الكرم" المفهوم من كثرة الرماد في قولك: محمد كثير الرماد, وكمعنى "الشجاع" المفهوم من الأسد في قولك: رأيت أسدا يعطي. فإن كان المعنى الثاني بعيدا فهمه من المعنى الأول, يحتاج في إدراكه إلى تكلف وتمحل بسبب استعمال اللفظ فيما لزم معناه لزوما خفيا، كان الكلام معقدا, فلا يكون فصيحا. نقلا عن المنهاج الواضح للبلاغة، ج3ص42

2 الجمود: كناية عن البخل بالدموع.

3 الإيضاح، القزويني، ص26

[4] المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج3 ص49

ثانيا: البـلاغـة

أ. تعريف البلاغة:

البلاغة فَعَالَة، مصدر بلُغ بضم اللام كفَقُه وهو مشتق من بلَغ بفتح اللام بلوغاً بمعنى وصل، وإنما سمي هذا العلم بالبلاغة لأنه بمسائله وبمعرفتها يبلغ المتكلم إلى الإفصاح عن جميع مراده بكلام سهل وواضح ومشتمل على ما يعين على قبول السامع له ونفوذه في نفسه[1].

- إذا فالبلاغة في اللغة: بلوغ الرجل بعبارته كنه مراده، أي: غايته. يقال: بلغ محمد بلاغة، إذا كان يبلغ بعبارته الغاية التي يريدها.
- أما معناها في الاصطلاح: «هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، فلا بدّ فيها من التفكير في المعاني الصادقة القيّمة القوية المبتكرة منسّقة حسنة الترتيب، مع توخّي الدقّة في انتقاء الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال من يكتب لهم أو يلقى إليهم»[2]، وتختلف باختلاف موصوفها وهو أحد اثنين: الكلام والمتكلم. يقال: هذا كلام بليغ، وهذا متكلم بليغ ولا توصف بها الكلمة، فلا يقال: هذه كلمة بليغة؛ لعدم ورود السماع بذلك[3].

ب. بلاغة الكلام:

هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته[4]، أي سلامته من العيوب المخلة بفصاحته، وفصاحة أجزائه[5].

ومقتضى الحال مختلف[6]، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام

---

1 موجز البلاغة، الطاهر بن عاشور، ص5

2 علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، د. محمد أحمد قاسم، د. محي الدين ديب، ص8، نقلا عن: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه- كامل المهندس.

3 المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج3 ص28

4 الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص26

5 المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج3 ص28

6 مثال ذلك أن تقول لمنكر إمارة شوقي للشعر: "إن شوقيا لأمير الشعر" فإنكار المخاطب هو الحال؛ لأنه أمر دعاك لأن تورد كلامك مصورًا بصورة التأكيد, وصورة التأكيد هي مقتضى الحال، واشتمال هذا الكلام على هذه الصورة هو المطابقة للمقتضى, فهذا القول حينئذ كلام بليغ؛ لأنه مطابق لمقتضى الحال. نقلا عن: المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج1 ص29

الحذف، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي.

وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب[1].

دعائم البلاغة: تقوم البلاغة على دعائم ثلاثة:

1. **اختيار اللفظ**
2. **حسن التركيب وصحته**
3. **اختيار الأسلوب الذي يصلح للمخاطبين، مع حسن ابتداء وحسن انتهاء.**

ت. بلاغة المتكلم:

ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ[2]، أي صفة قائمة بالمتكلم راسخة فيه، يتمكن بها متى شاء من تأليف كلام بليغ في أي معنى يريده.

وقياسًا على ما سبق من أن البلاغة أخص من الفصاحة، يكون المتكلم البليغ أخص من الفصيح؛ لأن المتكلم البليغ هو من به ملكة الإتيان بكلام بليغ، والكلام البليغ "كما تقدم" مشروط فيه الفصاحة؛ وحينئذ لا يكون المتكلم بليغًا حتى يكون فصيحًا، أما المتكلم الفصيح فقد يفقد صفة البلاغة بأن يصوغ كلامًا خاليًا من العيوب المخلة بالفصاحة، غير مطابق لمقتضى الحال كما إذا قلت لمنكر نجاح أخيه: "نجح أخوك" من غير تأكيد.

ومما تقدم تعلم أن البلاغة يتوقف تحققها على أمرين:

الأول: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وهو معنى مطابقة الكلام لمقتضى حال الخطاب، على ما تقدم بيانه.

الثاني: سلامته من العيوب المخلة بفصاحته[3].

بين الفصاحة والبلاغة:

إنما اشترط في بلاغة الكلام أن يسلم من العيوب المخلة بفصاحته وفصاحة أجزائه؛ لتعلم أن البلاغة أخص من الفصاحة، وأن كل كلام بليغ لا بد أن يكون فصيحًا ولا عكس.

---

1 الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص26-27

[2] الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص29

[3] المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج1 ص31-32

فإذا قلت لمن ينكر كرم علي ونبله: "علي كريم الخلق نبيل الطبع" من غير تأكيد، كان كلامك فصيحًا لسلامته من العيوب المخلة بالفصاحة، ولكنه ليس بليغًا لعدم مطابقته لمقتضى حال المنكر؛ إذ إن حاله يقتضي التأكيد محوًا لإنكاره.

فعلم من هذا أن الكلام لا يكون بليغًا إلا إذا كان فصيحا لأخذ شرط الفصاحة فيه، أما الفصاحة في الكلام فتتحقق بدون البلاغة لعدم أخذ شرط البلاغة فيها[1].

[1] المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج1 ص31